(٦)

الجزائر في التاريخ الحديث والمعاصر

١ ــ الجزائر تحت الحكم العثمانى :

اصبحت الجزائر جزءا من املاك الدولة العثمانية منذ عام ١٥١٨م وذلك بعد أن استنجد خير الدين بربروسا[١] Barberoussa بالسلطان سليم الاول العثمانى[٢] وارسل اليه القاضى « ابو العباس أحمد بن قاضى[٣] » لتصوير اوضاع المسلمين المتردية فى الجزائر ، وعرض ابعاد القضية عليه ، ومطالبته بربط مصير الجزائر السياسى بالدولة العثمانية ، وتقديم المساعدات العسكرية لها حتى تتمكن من قيادة عمليات الجهاد الدينى ضد الأسبان خصوصا وان النزاع بين بنى مرين وحكام تلمسان قد أدى الى توغل الأسبان فى السواحل الجزائرية ، وقد نجحت البعثة الجزائرية فى تحقيق اهدافها حيث سارع السلطان سليم بارسال قوة من سلاح المدفعية العثمانية مع الفين من الجنود الانكشارية الى الجزائر ، كما سمح بالتطوع لمن يشاء من رعاياه من المسلمين ، والانخراط فى صفوف المجاهدين يضاف الى ذلك انه أعطى خير الدين بربروسا رتبة

---

(١) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى ج ٢ ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٠م ص ٩٠٧ .

(٢) ارجمند كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر ــ ترجمة عبد الجليل التميمى ــ تونس ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ ص ١٧ .

(٣) للتفاصيل ، وحول رغبة خير الدين بربروسا فى الذهاب الى استنبول بنفسه ثم عدوله عن ذلك ، وارساله بمبعوث شخصى له الى السلطان سليم ، انظر : المجلة التاريخية المغربية ، تونس ، العدد السادس ، يوليو ١٩٧٦ ، مقال للدكتور عبد الجليل التميمى تحت عنوان « اول رسالة من اهالى مدينة الجزائر الى السلطان سليم » .

« بيكلربك » افريقية اى بك بكوات المغرب[٤] ، والتى تخول لصاحبها العديد من الاختصاصات ، كما اعطاه لقب قبودان باشا الذى أتاح له قيادة الأساطيل العثمانية ، وقيادة القوات المسلحة ، ونتيجة لذلك دخلت الجزائر رسميا تحت السيادة العثمانية[٥] ، وتحقق لبربروسا الحصول على القوات اللازمة لصد الهجوم الأسبانى على بلاده[٦] ، وتوجيه العديد من الضربات القوية للسواحل الاسبانية والى جانب ذلك اصبح بربروسا الحارس الامامى للدولة العثمانية فى الحوض الغربى للبحر المتوسط ، كما عهد اليه السلطان سليمان القانونى بفتح تونس ، وقد تمكن من ذلك بعد أن طرد منها المولى الحسن حليف الأسبان[٧] واعلنت تونس ولاية تابعة للدولة العثمانية[٨] ونتيجة لذلك قدم بربروسا للاسلام خدمات جليلة خاصة وانه قام بدور رائع فى الدفاع عن الاسلام وعروبة شمالى افريقية ، ومع ذلك فان بعض المؤرخين والباحثين المسلمين ساروا على أقوال المؤرخين الاوربيين دون روية ، فاتهموا بربروسا وسكان شمالى افريقية بالقرصنة خلال دفاعهم عن بلادهم ، والحقيقة انهم مجاهدون اسلاميون وليس بقراصنة[٩] .

وعلى كل حال فبعد أن هبطت حدة الصراع بين الدولة العثمانية واسبانيا فى شمالى افريقية واطمأن العثمانيون لابعاد اخطار الغزو الصليبى عن تلك الاقطار الاسلامية ، بدأت سلطة الدولة فى التراخى والدخول فى دور الاضمحلال ، فأصبحت السلطة الحقيقية فى أيدى رؤساء القوات غير النظامية ، ولم يصبح للسلطان العثمانى سوى السيادة الاسمية

---

(٤) جلال يحى : المغرب الكبير جـ ٣ ، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، بيروت دار النهضة العربية ، ١٩٨١ ص٢٥ — ٢٦ .

(٥) الشناوى : المرجع السابق جـ ٢ ص ٩١١ — ٩١٢ .

(٦) محمد فريد : تاريخ الدولة العثمانية — تحقيق احسان حقى — بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨١م ص ٢٣١ .

(٧) جلال يحى : المرجع السابق جـ ٣ ص ٢٦ ، وكوران : المرجع السابق ص ١٢ .

(٨) الشناوى : المرجع السابق جـ ٢ ص ٩١٤ — ٩١٥ .

(٩) نفسه ص ٧٦٥ .

فقط فمنذ سنة ١٦٧١م أصبح الحاكم الملقب بالداى والذى يتم اختياره عن طريق الانتخاب هو المتقلد الرسمى لأمور الحكم ، ونتيجة للسلطات الواسعة التى أعطيت للدايات تحولت الجزائر تدريجيا الى دولة شبه مستقلة فقد كان من حق الدايات عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية دون الرجوع الى السلطان العثمانى ، ولم تكن ايرادات البلاد يرسل منها شىء الى الآستانة بل كانت تصرف فى معظمها داخل الجزائر(١٠) .

وخلال القرن الثامن عشر الميلادى شهدت الجزائر انهيارا اقتصاديا بسبب كساد الحركة التجارية نتيجة لحصار بعض الدول الأوربية للشواطىء الجزائرية ، كما شهدت فوضى سياسية بسبب النزاع بين الدايات ، وبعض رجال الجيش من جهة ، وقراصنة البحر من جهة أخرى مما أدى الى اضطراب الأمن ، وفقدان الدايات للسيطرة على أمور بلادهم ، وعقدهم للمعاهدات مع بعض الدول الأوربية مما كان له أثره فى زيادة النفوذ الأوربى فى الجزائر(١١) .

ونتيجة لتردى العلاقات بين فرنسا وأوجاق الجزائر فى عهد أمبراطورية نابليون(١٢) راودت نابليون بونابرت فى عام ١٨٠٨م فكرة الاستيلاء على الجزائر ، فكلف أحد ضباطه بوضع خطة عسكرية لمشروع حملة فرنسية على الجزائر . وقد قام هذا الضابط بكتابة تقرير للسلطات الفرنسية أوضح فيه امكانية الاستيلاء على الجزائر ، واشار الى الأماكن التى تصلح لانزال الجنود الفرنسيين والطرق والآبار التى يمكن أن يستخدمها رجالات الحملة(١٣) .

وعلى الرغم من أن هذا التقرير قد حفز نابليون على الاستيلاء

---

(١٠) شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٧٧ ص ٢٥٤ .

(١١) رافت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ، القاهرة ، دار الثقافة الطبعة الأولى ١٩٧٥م ص ٣٨٥ .

(١٢) كوران : المرجع السابق ص ٢٠ .

(١٣) مسعود مجاهد الجزائرى : أضواء على الاستعمار الفرنسى للجزائر ، القاهرة دار المعارف ص ١١ .

على الجزائر فان الظروف الدولية فى ذلك الوقت لم تسمح له بتحقيق هذه الأطمـــاع .

الاحتلال الفرنسى للجزائر ١٨٣٠ أسبابه ودوافعه :

ترجع دوافع الاحتلال الفرنسى للجزائر الى أســـباب كثـــيرة منها أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة وفيما يلى نعرض لهذه الأسباب .

أولا : الأسباب غير المباشرة :

١ — استياء الشعب الفرنسى من مليكه شارل العاشر نتيجـــة لمـــا عرف عنه من تسلط واستبداد ، ورغبة ذلك الملك فى احراز نصر خارجى لتخفيف الاستياء العام ، وجعل أنظار الفرنسيين تتجه الى الخـــارج حتى يتم تعطيل انفجار الثورة ضده[١٤] .

٢ — التنافس الدولى على البحر المتوسط ، ورغبة فرنسا فى حسم الموقف لصالحها[١٥] .

٣ — رغبة كبار الملاك الفرنسيين فى امتـــلاك الأراضى الجديدة حتى تعوضهم عما فقدوه بعد هزائم بلادهم ، وفقدانها معظم أجزاء امبراطوريتها الأولى فيما وراء البحار وتنازلها لانجلترا عن معظمها مما جعلها تفـــكر فى احتلال الجزائر[١٦] .

٤ — العوامل الدينية والتى منها رغبة الكنيســـة فى فتح الأبـــواب لنشر النصرانية فى شمالى افريقية[١٧] ، ورغبة فرنسا فى اظهار نفســـها بالحامية الكبرى للبابوية والمدافعة عن مصالحها[١٨] .

---

(١٤) رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٦ .
(١٥) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٥٤ .
(١٦) نفســـه ص ٢٥٥ .
(١٧) رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٧ — ٣٨٨ .
(١٨) محمد على دبور : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، المطبعة الفعارنية ، ١٣٨٥ هـ ص ٥ .

٥ — انتهاز فرصة فقدان الدولة العثمانية لاسطولها فى موقعة نفارين البحرية ١٨٢٧م ومحاولة فرنسا اقتطاع الجزائر من أملاك العثمانيين[١٩] .

٦ — الدوافع الاقتصادية والتى من بينها رغبة فرنسا فى الحصول على المواد الأولية ، وايجاد الأسواق لمصنوعاتها ، وتوظيف رؤوس أموالها فى المستعمرات[٢٠] .

ثانيا : السبب المباشر :

يرجع هذا السبب الى مماطلة فرنسا فى دفع المستحقات التى عليها للجزائر نظير أثمان الحبوب التى استوردتها منها[٢١] ومحاولة الداى معرفة سبب هذه المماطلة من القنصل الفرنسى فى الجزائر « ديفال Deval » الذى أجاب على الداى بطريقة جافة تحمل بين جنباتها ترفع ملك فرنسا عن مكاتبته مما اثار ثائرة الداى ، ودفعه الى أن يصرخ فى وجه القنصل ملوحا له بالخروج من مجلسه ثم ضربه بمروحة كانت فى يده ثلاث مرات وكان ذلك فى ٢٩ ابريل ١٨٢٧م[٢٢] . كما طالب الداى فرنسا باستدعاء قنصلها وتبديله بقنصل آخر يكون موضع ثقته ، ولكن وزير خارجية فرنسا اعترض على ذلك وطالب حكومته بمحاصرة شواطىء الجزائر البحرية حتى يقوم الداى بالاعتذار عما لحق بالقنصل الفرنسى من اهانة[٢٣] والانتقام لكرامة التاج الفرنسى . ولكن فرنسا املا منها فى الوصول الى حل سلمى يريق ماء وجهها ظلت مترددة فى اتخاذ موقف حربى حاسم يبعد عن كاهلها النفقات العسكرية التى يتطلبها اعلان الحرب على الجزائر[٢٤] فارسلت فى يونيو ١٨٢٧ اربع سفن حربية الى الشواطىء الجزائرية ووجهت انذارا الى الداى كانت اهم بنوده الترضية الكاملة

---

(١٩) الشناوى : المرجع السابق حـ ٢ ص ٩٥٤ .
(٢٠) مسعود مجاهد : المرجع السابق ص ٢٠ .
(٢١) مسعود مجاهد : المرجع السابق ص ١٢ .
(٢٢) رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٧ .
(٢٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٥٦ .
(٢٤) رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٨ .

عما لحق بفرنسا من اهانة ، وتقديم كافة الضمانات التى تحول دون تعرض السفن الفرنسية لأية اجراءات تفتيشية من السفن الجزائرية ، وأن تتمتع فرنسا فى الجزائر بحق الدولة الأكثر رعاية ، وأن يعلن إلداى أن حكومة فرنسا قد أوفت بالتزاماتها المالية تجاه الجزائر ، وانه ليس له أى حق قبلها[٢٥] .

وقد هددت فرنسا باعلان الحرب على الجزائر فى حالة رفضها لشروط الانذار ، ومع ذلك فقد رفض الداى الانذار الفرنسى وأصر على التمسك بموقفه ، وأخذ يتهكم على المطالب الفرنسية بقوله « لم يبق الا ان يطلبوا امراتى »[٢٦] .

ونظرا لأن قيام فرنسا بعملية حربية ضد الجزائر أصبحت شبه مؤكدة[٢٧] ابلغت فرنسا الدولة العثمانية بأن والى الجزائر الذى أظهر عداءا واضحا للفرنسيين بتحقيره لقنصل فرنسا ، ورفضه تقديم الترضية العلنية قد جعل الحرب محققة بين فرنسا والجزائر . ولما كانت الدولة العثمانية منشغلة فى مشاكلها فى جزيرة المورة ، ولا تنوى اضافة أعباء أخرى تضاف الى همومها فقد تباطأت فى حسم الموقف بالطريقة المناسبة مما أعطى لفرنسا فرصة الانفراد بالأمر ، وخلال هذه الفترة بدأت فرنسا فى البحث عن حلول أخرى تجنبها نفقات الحرب ، وفى نفس الوقت تجعل المسلمين يقاتلون بعضهم بعضا فاقترح « دورفتى Drovetti »[٢٨] قنصل فرنسا فى الاسكندرية قيام محمد على والى مصر بحملة على الجزائر بمساندة فرنسا لتأديب الداى والقضاء على حكومته ، واحتلال الجزائر وضمها الى أملاكه على أن يكون لحليفته فرنسا امتيازات واسعة فى هذه البلاد[٢٩] .

---

(٢٥) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٥٧ .

(٢٦) صلاح العقاد : المغرب العربى — دراسة تاريخية فى تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، القاهرة ، الانجلو المصرية ص ٨٢ .

(٢٧) كوران : المرجع السابق ص ٢٣ — ٢٤ .

(٢٨) نفسه ص ٢٩ .

(٢٩) رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٨ .

ولما فوتح محمد على فى الأمر تردد فى البداية خشية فقدان ثقة العالم الاسلامى فيه وقال للقنصل الفرنسى « انتم مسيحيون أما نحن والجزائريون فمسلمون ، وسيماع اقوال كتلك ونحن ذوو دين ، وأمة وشريعة ودولة واحدة ، لا يتلاءم مع ديننا ودولتنا »[٣٠] ولكن سرعان ما عدل محمد على عن رأيه ووافق على فكرة القيام بحملة لتاديب الداى بشرط ان تدفع له فرنسا مبلغا ماليا ، ودعما بحريا[٣١] يمكنه من اعادة بناء اسطوله الذى تحطم فى موقعة نفارين البحرية عام ١٨٢٧م[٣٢] .

وفى محاولة من محمد علي لتكشف الموقف ارسل الى الداى برسالة ينصحه فيها ويحذره من العواقب الوخيمة اذا اصر على موقفه المعادى لفرنسا ، وكان رد الداى عليه فليذهب محمد على ليأكل الفول[٣٣] .

وحتى يأخذ مشروع محمد على بالحملة على الجزائر شكلا رسميا لا تعترض بريطانيا او غيرها عليه رأت فرنسا ضرورة اخذ موافقة السلطان العثمانى على المشروع[٣٤] وعندما تسرب الخبر الى الانجليز اعترضوا عليه وحرضوا السلطان العثمانى ضده ، كما حذرت بريطانيا محمد على الذى بدأ يرتبط بالمصالح الفرنسية من الاقدام على هذا العمل[٣٥] .

كما ثارت الدول الأوربية ضد هذا المشروع يضاف الى ذلك ان الدولة العثمانية عارضت امتداد نفوذ محمد على الى شمالى افريقية وازاء هذه العقبات اغضبت فرنسا اعينها عن هذا المشروع ، وظلت تتحين الفرص المواتية للقيام بنفسها بحملة عسكرية ضد الجزائر والانفراد باحتلالها[٣٦] وقد جاء الوقت المناسب لذلك عندما انشغلت بريطانيا بالانقلاب النيابى

---

(٣٠) كوران : المرجع السابق ص ٣٥ .
(٣١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٥٩ .
(٣٢) رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٨ .
(٣٣) عبد الرحمن الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ج ٣ ، بيروت ، دار الثقافة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ٣٧٥ .
(٣٤) كوران : المرجع السابق ص ٢٩ .
(٣٥) جلال يحى : المرجع السابق ج ٣ ص ١٠٥ .
(٣٦) أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧١ ، ص ٣٩٤ — ٣٩٥ .

الذى حدث فيها خلال ذلك الوقت[٣٧] وانشغلت الروسيا وبروسيا والنمسا بالثورات التى اندلعت فى ايطاليا وبولنده فى تلك الفترة[٣٨] فتذرعت فرنسا أمام الرأى العام الأوربى أنها تدافع عن قضية أوربية تدعم من خلالها قواعد العدل[٣٩] ، واصدر ملكها قرارا فى ٧ فبراير ١٨٣٠ باعلان التعبئة العامة ثم صدرت الأوامر بعد ذلك بغزو الجزائر فابحر الاسطول الفرنسى من ميناء طولون[٤٠] فى شهر مايو من نفس العام وهو يحمل ٢٠ الفا من رجال البحرية وقام الجيش الفرنسى المكون من ٣٧٦٠٠ مقاتل ، ٩١ قطعة مدفعية بغزو الجزائر[٤١] ، وبدأ بانزال فى سيدى فرج على بعد ٢٥ كيلو مترا غربى مدينة الجزائر[٤٢] ونتيجة لذلك عهد الداى الى صهره ابراهيم اغا بقيادة القوات المدافعة . وقد دافع الجزائريون عن بلادهم دفاعا مجيدا استطاعوا خلاله حصر الزحف الفرنسى فى شريط ساحلى لا يشمل كل الشواطىء الجزائرية ، ومرت ثلاث سنوات دون أن يستطيع الفرنسيون من فرض سيطرتهم على اكثر من بضع موانى ساحلية بينما أصبح داخل البلاد فى أيدى الزعماء ورؤساء القبائل[٤٣] .

وخلال الفترة من ١٨٣٠ الى١٨٣٩ قامت سياسة فرنسا فى الجزائر على فكرة الاحتلال المحدود المقتصر على الساحل دون الداخل ثم تحولت هذه السياسة الى التوغل فى الداخل ، فنجح الفرنسيون فى احتلال سيدى فرج والوصول الى مدينة الجزائر ، ومهاجمة قلعة السلطان ، وحصن القصبة ، واشعال النار فى مخازن الذخيرة ولما راى الداى تحول الموقف

---

(٣٧) كوران : المرجع السابق ص ٤٥ .
(٣٨) الشناوى : المرجع السابق ج ٢ ص ٩٥٥ .
(٣٩) مسعود الجزائرى : المرجع السابق ص ٤ .
(٤٠) الجيلالى : المرجع السابق حـ ٣ ص ٣٨٠ .
(٤١) جلال يحى : المرجع السابق ص ١٠٨ .
(٤٢) كان من المتوقع أن ارسال جيش فرنسى الى الجزائر سيؤدى الى اشغال افكار الشعب الفرنسى عن مشاكله الداخلية ، بيد أن دخول هذا الجيش الى الجزائر لم يحدث التأثير المتوقع فى فرنسا بل أدى بعد ذلك الى الاطاحة بملكية شارل العاشر .
كوران : المرجع السابق ص ٢٢ .
(٤٣) رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٨٩ ، وجلال يحى : المرجع السابق ص ٨٦ وما بعدها .

في غير صالحه حاول الحصول على صلح مشرف مع الفرنسيين ، ووسط في ذلك قنصل بريطانيا[٤٤] ولكن الفرنسيين رفضوا هذه الوساطة[٤٥] واصروا على فرض شروطهم والتي كان من اهمها ما يلي :

١ — تسليم حصن القصبة ، وجميع حصون مدينة الجزائر وأبوابها للفرنسيين .

٢ — ضمان القائد الفرنسي حماية الداي ، وممتلكاته الشخصية .

٣ — ترك الحرية للداي في الاقامة او الرحيل الى أي مكان يريده .

٤ — عدم اتخاذ أي اجراءات انتقامية ضد الجنود الجزائريين .

٥ — كفالة حرية الجزائريين في اقامة شعائرهم ، وصيانة ممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم ، والمحافظة على أعراضهم[٤٦] .

وقد وافق الداي على هذه الشروط التي تضمنت متطلباته وقرر مغادرة مدينة الجزائر هو وأسرته الى نابلي بايطاليا ، ونتيجة لذلك انتهت آخر مظاهر التبعية للعثمانيين في الجزائر[٤٧] ووقعت أعباء المقاومة على الشعب الجزائري نفسه ، وبدأ الاستعمار الفرنسي الرسمي في الجزائر ، واخذ الفرنسيون في استغلال موارده مستخدمين في ذلك شتى السبل والوسائل للوصول الى أهدافهم[٤٨] كما حاولوا التقرب الى رؤساء القبائل في محاولة لكسب اعترافهم بالسيادة على أقاليمهم ، ولكن تصميم الشعب الجزائري على استقلال بلاده جعل مهمة الفرنسيين شديدة الصعوبة[٤٩] .

---

(٤٤) الجمل : المرجع السابق ص ٢٦١ .

(٤٥) جلال يحى : المرجع السابق حـ ٣ ص ١١٢ .

(٤٦) مسعود مجاهد : المرجع السابق ص ٨٤ .

(٤٧) الجمل : المرجع السابق ص ٢٦١ .

(٤٨) للتفاصيل انظر : جلال يحى : المرجع السابق حـ ٣ ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٤٩) بسام العسيلي : المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٠هـ .

وفي خلال هذه الفترة برزت مقاومة «أحمد باى» ضد الفرنسيين فى قسطنطينية، وكانت له مع الجند الفرنسى وقائع وطنية مشرفة ، ولكن رغبته فى الانفراد بالسلطة جعل دوره محدودا[٥٠] ، كما أن احتلال الفرنسيين لمدينة قسطنطينة فى عام ١٨٣٧ كان وراء نهاية المقاومة المنظمة لقواته[٥١] فانتقلت الأمور من يده الى الأمير عبد القادر الجزائرى الذى تعتبر ثورته الحلقة الرئيسة فى تاريخ المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين[٥٢] فحمل راية الكفاح فى غرب الجزائر ، ومنع فرنسا من فرض سيطرتها على داخلية البلاد وبخاصة فى مقاطعتى وهران وقسطنطينة ، واتخذ من مدينة معسكر عاصمة له ، وبدأ فى مد سلطانه على القبائل المناهضة له ، وجعل منها جبهة واحدة تحت سيادته ، وبعدها بدأ فى قتال الفرنسيين وأجبرهم على التقهقر الى السواحل الشمالية الجزائرية ، والاكتفاء باحتلال بعض النقط الساحلية[٥٣] .

ويمكن تقسيم نضال الجزائريين بقيادة الأمير عبد القادر الى ثلاث مراحل تنتهى كل منها بمعاهدة .

المرحلة الأولى وقد أجبر الأمير عبد القادر فيها الفرنسيين على عقد معاهدة ١٨٣٤م التى نصت على الاعتراف بكل غرب الجزائر عدا ثلاث مدن ساحلية تحت قيادته .

والمرحلة الثانية : وفيها اعترف الفرنسيون بسلطة الأمير عبد القادر فى غرب الجزائر ، ووقعوا معه معاهدة فى ١٨٣٧م نصت على تبادل الممثلين والمندوبين بين الطرفين ، وقد استمرت هذه المدة عامين نشب بعدها القتال بين الطرفين وتقهقر خلاله الأمير عبد القادر واضطر الى اللجوء لمراكش والاستنجاد بسلطانها ، ولكن سلطان مراكش خشى من عاقبة الأمور خاصة بعد تهديد فرنسا له بغزو بلاده ، وآثر كف يده

---

(٥٠) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٦٥ .
(٥١) مسعود مجاهد : المرجع السابق ص ٩١ .
(٥٢) العقاد : المرجع السابق ص ٩٩ .
(٥٣) جلال يحى : المرجع السابق حـ ٣ ص ١٤٠ .

عن مساعدة عبد القادر وطالبه بالخروج من بلاده وعلى الرغم من ذلك فان حركة النضال الجزائرية لم تتوقف بل ازدادت اشتعالا ، فواجه الأمير عبد القادر الفرنسيين دون انتظار المعونة من احد ، وحقق الجزائريون خلال ذلك العديد من الانتصارات التى اذهلت الفرنسيين ، وكانت السنوات من ١٨٤٥ الى ١٨٤٦ من اصعب الفترات التى قضتها القوات الفرنسية فى الجزائر .

اما عن المرحلة الثالثة من مراحل جهاد الأمير عبد القادر والتى استمرت حتى عام ١٨٤٧م فقد اتبعت فيها فرنسا سياسة تطبيق الاحتلال الشامل ، ومحاولات اخضاع الجزائريين على طريق المواجهات العسكرية والارهاب والتى انتهت باستسلام الأمير عبد القادر فى ٢٤ من رجب ١٢٦٣هـ / ٨ يوليو ١٨٤٧ ونفيه الى دمشق(٥٤) هو واسرته بعد ان امضى خمسة عشر عاما فى الجهاد ضد الفرنسيين(٥٥) .

وبعد استسلام الأمير عبد القادر اعلنت فرنسا ان الجزائر اصبحت جزءا لا يتجزأ من الاراضى الفرنسية(٥٦) وعمدت الى القضاء على هويتها العربية وشخصيتها الاسلامية ومع ذلك لم يتوقف النضال فثار الجزائريون ضد فرنسا(٥٧) ، وكانت اهم ثوراتهم ثورة محمد المقرانى الذى انضم اليه حوالى مائة الف مقاتل ، واستطاع ان يكتسح القوات الفرنسية ، ويستولى على العديد من المناطق ، وساعده على ذلك تطور الأمور فى أوربا فى غير صالح فرنسا نظرا لهزيمتها من المانيا فى سيدان ، وسقوط الامبراطورية

---

(٥٤) للتفاصيل انظر : لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى — ترجمة عجاج نويهض ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م ص ١٧٢ .

(٥٥) جلال يحى : المرجع السابق حـ ٣ ص ١٧٨ .

(٥٦) اسماعيل ياغى ومحمود شاكر : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر .

(٥٧) عن هذه الثورات انظر : انتونى نتنج : العرب وانتصاراتهم وامجاد الاسلام — ترجمة راشد البراوى — القاهرة ، الانجلو المصرية ١٩٧٤م ص ٣٦٢ .

الفرنسية ، وزحف الجيش الألمانى على باريس ، واضطرار فرنسا لعقد صلح فرنكفورت مع المانيا . ونتيجة لذلك عمت الثورة فى الجزائر ضد الفرنسيين ودارت العديد من المعارك التى ارتكبت فيها القوات الفرنسية شتى أنواع الجرائم[٥٨] ، واستشهد فيها ما يقرب من ستين الف جزائرى ، ومع ذلك لم تتوقف الثورة الا بعد استشهاد المقرانى فى ١٨٧١/٥/٥ وسقوط أخيه أسيرا فى العام الذى بعده .

ومع أن نضال الشعب الجزائرى لم يتوقف ، فقد اتجه اتجاها آخر ، وهو النضال السياسى فتأسست لجنة وطنية فى عام ١٩١٠ برئاسة المحامى (ابو دربه) وقد سعت هذه اللجنة الى الارتباط بالحركات التحررية القائمة فى العالم الاسلامى وقتذاك .

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى وأثناء انعقاد مؤتمر الصلح فى باريس تبنى بعض الضباط الجزائريين برئاسة خالد الهاشمى فكرة حضور المؤتمر والمطالبة بمنح الجزائر حق تقرير مصيرها[٥٩] كما تأسست منظمة « نجمة شمال افريقيا » فى عام ١٩٢٦ للمطالبة باستقلال الجزائر ، وجلاء الجيوش الفرنسية عنها هذا الى جانب قيام « عباس فرحات » بتأسيس حزب « الاتحاد الشعبى الجزائرى » للمناداة بحقوق الانسان والمواطن وحزب البيان ثم حزب « أصدقاء البيان الجزائرى » الذى أصدر بيانا فى فبراير ١٩٤٣م طالب فيه باقامة جمهورية جزائرية داخل الاتحاد الفرنسى . ونتيجة لقيام السلطات الفرنسية بابعاد عباس فرحات اتجه الشباب الجزائرى للكفاح المسلح من جديد ، وخلال احتفال دول العالم بنهاية الحرب العالمية الثانية وسقوط النازية والفاشية خرج الشعب الجزائرى فى ١٣٦٤/٥/٢٤هـ الموافق الثامن من مايو ١٩٤٥ فى مظاهرات شعبية سلمية حاملا باقات الزهور باحدى يديه لوضعها على مقابر الشهداء ، ورافعا بيده الأخرى اللافتات والأعلام المطالبة بالحرية وتقرير المصير ، الا أن السلطات الفرنسية التى راعها أن تشاهد راية الحرية ترفرف على أرض الجزائر تدخلت لقمع المظاهرات ، وبدأت مجزرة رهيبة استخدمت

---

(٥٨) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٢٨٥ .
(٥٩) ياغى وشاكر : المرجع السابق ص ٥٩ .

فيها القوات الفرنسية مختلف انواع الأسلحة من بنادق ورشاشات ودبابات ومصفحات وحتى الطائرات[٦٠] واحتدمت المعارك بين الشعب الجزائرى الأعزل من السلاح والجيش الفرنسى سقط خلالها ما يزيد عن ٤٥ الف من الشهداء . ونتيجة للبطش الفرنسى بالجزائريين شكلت فى عام ١٩٤٧م تنظيمات سرية تمخضت فى النهاية عن ظهور « جبهة التحرير الوطنى الجزائرى » التى استطاعت أن تفجر الثورة الكبرى فى عام ١٩٥٤م وقد انضم الى هذه الجبهة معظم الأحزاب السياسية كما انضم اليها بجانب الشباب والرجال العديد من الفتيات وكان منهن « جميلة بو حريد » و « جميلة بو عزة » و « جميلة بو باشا »[٦١] .

ونظرا لتصاعد نضال هذه الجبهة ضد الفرنسيين ، واستمرار هجمات افرادها القوية عليهم خصوصا فى شمالى قسطنطينة فى اغسطس ١٩٥٥ ، وفى أماكن تجمعاتهم بدأ الفرنسيون يتتبعون افرادها ، وخلال قيام المناضلة « جميلة بوحريد » بحمل قنبلة كانت تحاول وضعها فى مقهى يقطنه بعض الجنود الفرنسيين القى القبض عليها ، وفى محاولة من الفرنسيين لاجبارها على الاعتراف باسماء زملائها فى الكفاح بدأوا يستعملون معها اشد انواع التعذيب ، فوضعوا اسلاك كهربية على كل مكان فى جسمها ثم اخذوا يديرون التيار الكهربى عليها حتى تدلى باعترافاتها ، وعلى الرغم من أن « جميلة بو حريد » لم تعترف بشىء يؤكد التهمة المنسوبة اليها فقد وجه اليها الاتهام قرار الحكم بالاعدام ، ثم خفف الى الأشغال الشاقة المؤبدة نتيجة لاهتزاز الشعور العالمى والانسانى على هذا الحكم الجائر[٦٢] .

وعلى الرغم من محاولات الفرنسيين القضاء على حركة المقاومة الجزائرية فقد استمر نضال الجزائريين ضد فرنسا حتى صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى العاشر من فبراير ١٩٥٨م على ضرورة ايجاد حل عادل للمشكلة الجزائرية .

---

(٦٠) عبد الرحمن الجيلالى : المرجع السابق حـ ٤ ص ٣٦٧ .
(٦١) محمود الشرقاوى : صور من الجزائر ، القاهرة ، الانجلو المصرية ص ٥٨ .
(٦٢) الشرقاوى : المرجع السابق ص ٦٠ — ٦١ .

وفى نفس هذا العام انشئت حكومة الجزائر المؤقتة بالقاهرة ، وبدأت هذه الحكومة تتلقى تأييدا دبلوماسيا اسلاميا وعربيا ، ودوليا ، وانتهى الأمر باعتراف هيئة الأمم المتحدة بحق الجزائر فى الاستقلال فى ١٨ ديسمبر ١٩٦٠ ، وذلك بأغلبية ١٦٣ صوتا ، وامتناع ٢٧ عن التصويت ومعارضة ثمانية اعضاء(٦٣) .

وفى مطلع عام ١٩٦٢ جرت محادثات مكثفة بين الجانبين الفرنسى والجزائرى تم خلالها الاتفاق على وقف القتال ، واطلاق سراح الزعماء السياسيين ، والاعلان عن حق الجزائر فى الاستقلال ، وتقرير المصير ، وانتهى الأمر باعلان استقلال الجزائر فى اول يوليو ١٩٦٢ واختير أحمد بن بيلا كأول رئيس للجمهورية .

وفى أواخر يونيو ١٩٦٥ حدث تغيير فى القيادة الجزائرية فعزل أحمد بن بيلا ، وتألف مجلس ثورة بقيادة العقيد « هوارى بومدين » لادارة شئون البلاد .

وقد حققت الجزائر الكثير من الانجازات فى ظل الاستقلال كما شاركت الدول العربية فى الكثير من المسئوليات خصوصا تأييدها للقضية الفلسطينية .

وبعد وفاة الرئيس بومدين . انتخبت جبهة التحرير الوطنى الجزائرى الرئيس الشاذلى بن جديد .

---

(٦٣) ياغى وشاكر : المرجع السابق ص ٨٢ .

ثبت المصادر والمراجع

أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث ، بيروت دار النهضة العربية ، ١٩٧١ .

أرجنت كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر ترجمة د. عبد الجليل التميمى — تونس ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ .

اسماعيل ياغى : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر ، الرياض ، دار المريخ .

انتونى نتنج : العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام — ترجمة راشد البراوى ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ .

بسام العسيلى : المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسى ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٠هـ .

جلال يحى : المغرب الكبير حـ ٣ ، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ .

رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ، القاهرة ، دار الثقافة الطبعة الأولى ، ١٩٧٥م .

شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م .

صلاح العقاد : المغرب العربى — دراسة فى تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة ، القاهرة ، الانجلو المصرية .

عبد الرحمن الجيلالى : تاريخ الجزائر العام حـ ٣ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٠ .

لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى — ترجمة عجاج نويهض ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٣م .

محمد على دبور : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، المطبعة التعاونية ، ١٣٨٥هـ .

محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية — تحقيق احسان حقى — بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨١م .

محمود الشرقاوى : صور من الجزائر ، القاهرة ، الانجلو المصرية .

مسعود الجزائرى : أضواء على الاستعمار الفرنسى للجزائر ، القاهرة ، دار المعارف .

الدوريات :

المجلة التاريخية المغربية : تونس — العدد السادس ، يوليو ١٩٧٦ .